النـــونـــيـة

في تـاريخ الفـلسـفة اليــونانية

(بـــأس الفـــرد)

هبطت إليك من الكواكب غادة ... حسناء ليس لها نظير ثان
ما أن رأى جنس الأنام كمثلها ... فيما رأى من حيز الإمكان
نصَحتْك فاسمع نصحها ولتعتبر ... يا طالبا لحقائق اليونان
خذ ما صفى منهم ودع ما أخطؤوا ... فيه من البهتان والهذيان
فالظن لا يغنيك كلّا والذي ... خلق السماء بغاية الإتقان
أوَما ترى ذم الإله لعصبة ... خاضوا بجنس ملائك الرحمن
إن قلت ليس كلامنا وكلامهم ... سيان بل نحتج بالبرهان
فاسمع نصحتك ما أقول ولا تكن ... كالمعرض المتكبّر الخوّان
قد قال أفضلكم وأحسنكم هدى ... نجل ابن رشد فاسمعنّ بياني
أن العلوم تراكمت في مدّة ... وتتابعت قرنا فقرنا ثاني
لو رام فرد دركها في دفعة ... لأبت عليه طبيعة الحِدثان
فإذن أجب كيف الوثوق بما تنا ... قلتِ الألى في سالف الأزمان
أوَليس ذاك حديث شخص واحد ... فأبن لنا الإسناد لليونانيّ
كم تنكرون على الأنام وعلمكم ... من جنس مقبولاتهم يا جاني
وتقول ويحك أن دين محمد ... تخييل عقل فاض للأذهان
وبأن ماجاءت به رسل الهدى ... خلوٌ عقائده من البرهان
وبأن سيدكم أرسطو ناله ... من غير وحي جاء من منّان
لو صح زعمكمُ لكان إمامكم ... خير الأنام وخالق الإنسان
أنى يقارنه النبيّ وقد أتى ... بخطابة ممزوجة ببيان
لم يهتدي بالعقل بل برسالة ... والفيلسوف بمنطق البرهان
فوخالق الأفلاك كيف يماثل ال ... تخييل عقلا، كيف يستويان
فارجع نصحتك إن هدي محمد ... هو غاية البرهان والفرقان
سيان من زعم النفوس مدبرا ... ت للوجود وعابد الأوثان
تالله لا يخلو كلام القوم من ... نظر مشوب بالهوى اليوناني

فصل

(في بيان سبب نظر اليونان في الطبيعة وأنه أساس كلّ اعتقاد في الإلهيات)

فاسمع تدرج أمرهم وعلومهم وفنونهم من عالم بالشان
قد كان أول شغلهم أصل الورى وطبيعة الأفلاك والأكوان
وتغير الأجرام والأجزاء وال أجسام والأبدان والأركان
قالوا إذا كان التغيُّر لازما للعنصر الموسوم بالحدْثان
فالأول الأزلي عنه تركّبت كل الحوادث في ذرى الإمكان
وهو البسيط فلا يشار إليه بل لا تحتويه جهات جِرم فاني
هذا هُديت أساس كل بلية ومصيبة في سائر الأديان
لو أنهم عُذروا لأجلِ جهالة بالأنبياء وحجة الديَّان
فأبن لنا عذر الذين أتاهمُ قول الإله وسنة العدناني

فصل

(في بيان مذاهب الطبيعيين القدماء)

هذا وأول من تفكّر منهمُ طاليسٌ الملَطيُّ من إيواني
والماء أول عنصر في زعمهِ وهِرقْلَطِيسُ يقول بالنيران
وأنِكْسِمانيسُ الهواء لديه والْ أَبِرُونُ عند أنِكْسِمَندَرَ داني
وأنَكسُقوراسٌ أتى بالذرة الْ أزلية المجموعة الأركان
و"النوص" يفتق رتقها ويحرّك ال ذرات حيث أراد بالإتقان
والقرم عندهمُ برمْنيديس من زعم التغير غاية الهذيان
ليس الوجود لديه إلا واحدا وهو الحقيقة ماله من ثان
والأصل عند مبادُقاليسَ العنا صر أربعٌ ضربٌ من البطلان
وأتى دمقروطيس بالجزء الذي جعلت تخاصمنا به فئتان
أهل الكلام ومن يقول بحكمة ولأجله نقضوا عرى الإيمان
والرقم عند فِثاغُراس أساس كلِّ عناصر الأجرام والأكوان

فصل

(في الفيثاغورية الأورفكية التي كانت سببا لازدراء المحسوس وتقديس النفوس)

والنفس لا تفنى كذاك تلقفوا عن فرس أو مصر أو الكلدان
والجنة الكبرى خروج نفوسنا عن هذه الأجسام والأبدان
وحلولها في ربها وسموّها عن نقص أزمان ونقص مكان
وبذاك جاء القرم أفلاطون في مُثُلٍ تُنزَّهُ عنْ فِرى الإمكان
خلطوا خيالا بالحقيقة ويحهمْ أنّى وذا في غاية البطلان
ولقد شفانا قول شمس الدين من قال الصواب وجاء بالحسان
"هذا هداك الله من إضلالهم وضلالهم في منطق الإنسان
كمجردات في الخيال وقد بنى قوم عليها أوهن البنيان
ظنوا بأن لها وجودا خارجا ووجودها لو صح في الأذهان
أنى وتلك مشخصات حصلت في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين فرد كذا المعنى هما سيان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج عن كل قيد ليس في الإمكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج هو كالخيال يطيف بالسكران
لكن تجردها المقيد ثابت وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرد الأعيان عن وصف وعن وضع وعن وقت لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر ض المستحيل هما لها فرضان
الله أكبر كم دهى من فاضل هذا التجرد من قديم زمان".

فصل

(في بيان أن العقل لا يستغني الحس أبدا)

واعلم بأن أساس كل ضلالة ضلت بها أمم من اليونان
زعْم الألى أن العقول صحيحة أبدا وليس كذلك العينان

فالعقل يدرك كل شيء كاملا ... وحواس هذا الخلق في نقصان
ضربوا لها الأمثال والشبه التي ... عريَت عن التحقيق والبرهان
فتصورُ الأشياء باب عقولنا ... من دونه لا نفع في الميزان
والعقل مثل الحسّ مهما كابروا ... في العلم والإدراك والنقصان
وبذا أتى من جزْرِ ساموسٍ إبي ... قورٌ ولكنْ ضلَّ في الرحمن
والسفسطائيّون لما أن رأوا ... تشكيك غيرهمُ بكل عيان
قالوا: إذن فالحق أن لا نبتغي ... جزمًا وذاك مضِيعة الأزمان
ولقد أجاد بنقدهمْ سقراط منْ ... أزرى على الطاغوت والأوثان
حبر إمام عالم هو أفضل ال ... حكماء طُرًّا من بني يونان
من بعد زينوفانِسٍ من قام في ... أمم مقام الواعظ الحقّاني

فصل
(في حدود العقل)

واعلم هديت بأن جلّ الرهط هم ... سلف الحكيم أرسطو ذي البرهان
فالشكّ في كتْب له متعيّن ... إن رمت درك حقيقة الإيقان
ولقد نصحتك فاقرأنَّ نصيحتي ... ولقد وعظتك فاسمعنّ بياني
واقرأ إذا شئت الذي قد خطه ... أهل الرواق بواضح التبيان
فالعاصم الرب الرحيم وتركنا ... هذا الهوى فالمنطق العقلاني
أعني الذي لم يختلف كل الورى ... فيه سوى من شذّ عن نكران
ودع التعمق فالتعمق فاسد ... أنى يحيط بكل علم فاني
لو كان ذاك يكون ما احتجنا إلى ... وحي ولا احتجنا إلى القرآن
وانظر إلى المثل الذي قد قصّه ... خضرٌ على موسى الكليم الداني
وانظر إلى طلب الخليل زيادة ... في العلم والتسليم والإيقان
لو كان هذا العقل يكفي لاكتفى ... رسل الإله الخالق المنان

فصل
(في الأفلوطينية المحدثة)

ثـم انبـرى مـن بعـد أفلاطـون أف لوطيـن ذو التعطيـل والعرفـان
وهـو الخليفـة والنبـيّ حقيقـة للفيلسـوف وعابـد الصلبـان
ومعطـل الرحمـن عـن أوصافـه ومصـرح بالإفـك والعـدوان
ومنجـم ظـن النفـوس مدبـرا ت للوجـود وعابـد الأكـوان
وهـو الإمـام لـكلّ صوفـيّ يـرى رب الوجـود يحـل بالإنسـان
فانظـر إلـى مـا خطـه يمبيلِخـو س مـن الضلالـة ويـك والكفـران
وعبـادة الأفلاك ثـم دعائهـا وتوسّـل للعقـل بالقربـان
هـذا خلاصـة مـا حوتـه علومهـم فاحـذر وكـن ذا فطنـة وبيـان

* * *